مسك الختام

بشرى يوسف

بالفرح يتشافى وطني

رغم اصوات الانفجارات.. رغم الطائرات التي تحوم فوق رؤوسنا.. رغم كل اعمال العنف الدائرة في بلدنا المحب للسلام والامان.. خرج الشباب يوم عيد الحب ليحتفلوا، وهم يرتدون ازياء باللون الاحمر، وبلناقة عرفتها نساء العراق على مر العصور، خرجوا.. رغم انف كل من يريد ان يطفيء جذوة حب العراقي لاخيه العراقي، وكل من يريد ان يزرع الحقد والكراهية في ارض العراق الحبيب، كنت انظر اليهم من شباك مكتبي، واحمد الله اني اتخذت قراري بالعودة الى وطني، بعد ان ترددت كثيرا في هذا القرار، فكان مجرد التفكير بالعودة يملؤني بالخوف والرهبة، ويلح علي السؤال: كيف اعود الى مصير مجهول، وايام حالكة بسوادها، وقلق من الاتي؟..لكني ماكنت اعلم ان الوطن المسكون في حنايا الروح له سحرعجيب.. فما ان تطأ قدمك ارضه حتى تسري في عروقك شرارة اطمئنان وامان.. تزيل عن كاهلك اثقال واحمال، كنت تنوء بها طيلة فترة تغربك.. سواء قصرت هذه الفترة ام بعدت، وحين يدخل الانسان داره يسترد سكينة روحه التي همت بالفرار.

فرح حقيقي يغمرني بعودة الحياة التي كنت اعتقد انها سلبت منا. يوم مرت علينا فترات غير محددة بزمن ارتجفنا فيها ذعرا، حتى خلنا اننا نسفنا في قعر الارض، ولم نكن نعي حينها ان تحت الرماد جمر متوهج.. سيعيد للعراقيين نفوسهم المحبة للسلام وللحياة.. فيستمعوا لصوت الحقيقة الذي هو اقوى من كل بحور الصمت، ومن كل اصوات الارهاب والقتل، وكل ماهو غير اخلاقي ولاانساني. فها انا اراهم يحتفلون بعيد الحب ويوم المرأة العالمي بعد ان ايقنوا انهم مازالوا ثابتين في الارض.. لاتفرقهم طائفة ولادين ولاعرق.. وليقولوا للعالم سيتشافى وطننا بالافراح.

حين خرج شبابنا يحتفلون ويتهادون الورود والمحبة، والعراقيات بصدق المشاعر مافاتهن الاحتفال بعيدهن، يحملن في ايديهن زهور محبتهن وفي قلوبهن قضايا بلادهن، لينشروها رسائل سلام مفادها: اننا شعب محب للحياة.. محب للامل.. نفرح نغني نرقص على صوت الموسيقى التي تعزف لحن الامل، نبحث عن نسمة هواء عذبة تنتزع من عروقنا ارهاقها وتوترها، فكل ذلك الحب الدافق للحياة وللوطن وللامل، وكل تلك الرقة والعذوبة في شعر شعرائنا ولوحات فنانينا وموسيقى ملحنينا واغاني مغنينا، سوف تعلو فوق اصوات الانفجارات وهدير الطائرات، وسيكون الحب نشيدا لكل من يحيا ويحلم.

تاملت في الايام التي سرقت فرحتنا تلوذ بالفرار، وشكرت ربي انه اغلق بوجهي كل سبل التغرب.. كي اعود لوطني، وارى الفرح في عيون الشباب من ابنائنا وبناتنا، وهي تتحدى كل من يريد ان يطفيء جذوة حب العراقي لعراقيته، ويزرع الشوك في طريق الامل.